يشهد فيه القران لا عذر له في تقصيره عن حق او ركونه الى باطل فان الحجة بذلك
الزم وعليه اوجب وكان من اشكل عليه منهم شيئا في تفسير آية وتحقيق معنى في
كتاب الله او سنة يرجع في ذلك الى الرسول فاثبت له الحق منه واليقين
ونفى عنه الشك والزيغ ممن مقصد منهم بعد هذا الحال الى خلاف الواجب كان
حقيقا على الله ان لا يقبل له عذره ولا يقيل له عثرة واما من كان في عصرنا هذا
الذي قد اختلف فيه الاقاويل وتضادت المذاهب وتشتت الاراء وتباينت
الاهواء وضلت المعارف ونقصت البصاير وكثرت التحقيقات اذ ليس
من يرجع اليه بزعم اهل الغفلة ممن صفته في تحقيق الاشياء صفة الرسول فيثبت
لنا اليقين وينفي عنا الشك فيها فعذرهم مقبول وعثرتهم مغفورة بل اقول
لو اوجبت ان من يرتكب من اهل هذا العصر ذنبا واحدا او قلت ان من
استبصر في هذا العصر في دينه فشغل نفسه لمعرفة بصيرته حتى عرف من ذلك
ما نجا به بتوفيق الله فيما سعى له من الطلب افضل من عشرة مستبصر كانوا
في ذلك العصر لقلت حقا ولكان صدقا واذا كان الحال على ما وصفت
فيجب ان يكون مستبصرنا افضل من مستبصرهم اذا كان البرهان قد قطع عذرهم
والبيان قد ازاح عللهم بقرعه لاسماعهم صباحا ومساء ومشاهدتهم اياه بابصارهم
من غير تخلف منهم في طلبه وذلك كله معدوم في عصرنا بل نشاهد من الجهل
ونباشر من وجوه الباطل ما يضل فيه ذهن الحكيم ويطيش فيه قلب العليم ويذهل
معه عقولهم ويزول معه افهامهم حتى يسعى الساعي منا الدهر الطويل لقطع المسافة
ويحول البلدان الشاسعة ويتذلل للرجال ويخضع لكل صاحب نوال اما ان
يهلك ولم يدرك البغية واما ان يمن الله عليه بالبصيرة بعد جهد جهيد
وعناء شديد وتعب كديد مع تقية المستبصرين وخوف العارفين من اظهار
ذلك للظالمين وكشفه للاعبين فاي ظلم ام اي جور ابين من ظلم تفضيل
اولئك فيما ارتكبوه دونهم او كم بين من استبصر في دينه تبصرة تزول معه كل
شك ويثبت معه كل يقين من بيان النبي صلعم المرسل وبرهان الكتاب
المنزل وبين من يستبصر في دينه باخبار متضادة واقاويل مختلفة وبيان
غير شاف وبرهان غير كاف حتى يسعى ويطلب ويميز وينظر ويعتبر ويختبر
بسهر ليله وظماء نهاره وتعب بدنه وتصاغر نفسه وتذلل قدره هل هذا الاجور
من قايله وظلم ظاهر من موجبه حقيق على الله ان يوجب لمستبصري اهل هذا
العصر بما وصفنا من احوالهم اضعاف ما يوجب اهل ذلك العصر ولا يبعد
الله الا من ظلم وقال بما لا يعلم وان قالوا ان الله عز وجل قد قال في كتابه
السابقون السابقون اولئك المقربون قيل لهم قد قال الله وصدق الله

ماتة ذنب اعذر ممن
ارتكب في ذلك العصر ٣

والا

والامر في ذلك بين واضح والحكمة فيه مستقيمة وذلك ان السابق لا يجوز في
الحكمة ان يقع في الايمان الا بين اهل العصر الحاضرين الشاهدين ليذب الداعي
لهم السابق ومحال في الحكمة وفي العدل ان يسابق الله بين قوم خلقهم ومكنهم من
احوال الاجابة وبين قوم لم يخلقهم هذا ظاهر الفساد وبعيد من الرشاد بين المحال
قطيع المقال لكنه عز وجل سابق بين الحاضرين من اهل عصر الرسول ولعمري ان من
سبق منهم الى الايمان افضل واجل واقرب منزلة واعلى درجة ممن لحق من تقدمه
فلا ينكر هذا ذو فهم ولكن المنكر قول من زعم ان الله سابق بين من خلق ومن لم
يخلق فمن قال ان الصحابة قد سبقوا بالايمان ويريد بذلك تقدمهم في عصرهم
وتاخر عصرنا من عصرهم فيما قدم الله من خلقهم واخر من خلقنا فذلك كلام صحيح
وقول فصيح كما ان من تقدم ايضا من الامم والاعصار التي كانت قبل الصحابة كانوا
متقدمين على الصحابة باعصارهم سابقا من آمن منهم على مومن الصحابة وتقدم خلقهم
عليهم وليس في ذلك فضل لهم على من جاء بعدهم ومن قال ان الصحابة سبقونا
بالايمان لمعنى التسابق بيننا وبينهم الى الايمان فكان لهم بسبقهم ذلك الفضل
علينا لاجل تاخرنا عنهم كان ذلك قولا محالا شنيعا لان تاخرنا عن عصرهم
من فعل الله لا من فعلنا والله لا يذمنا على افعاله ولو كان لاهل عصر الصحابة
علينا فضل في ايمانهم بتقدمهم علينا في الاعصار والخلق يوجب على هذه القضية
ان يكون ايمان من تقدمهم من الامم السالفة افضل من ايمانهم بتقدمهم عليهم
في الاعصار فلما كانوا يمنعون ذلك ويوجبون الفضل الامة محمد صلى الله عليه وسلم
على من تقدمهم من الامة كان ايجابهم تفاضل اوايل هذه الامة على اواخرها فاسدا
وهذا ما لا نطلقه نحن ايضا في مذهبنا لكنا نقول ان اهل كل عصر يتفاضلون بينهم
ومن سبق منهم الى الايمان فهو افضل ممن تاخر عنه ثم لحق بالسابق فيه من اهل
عصره ولسنا نفضل بين اهل عصر الرسول على من جاء بعدهم في الاعصار المتاخر
فلا نفضل اهل الاعصار المتاخرة على من تقدمهم لكنا نفاضل بين اهل كل عصر
بعضهم على بعض بما وصفنا من السبق الى الادون ان يكونوا فاضلين على من
تقدمهم ولا على من تاخر عنهم فهذا عمدة ما يتعلق به اهل الغفلة والضلالة
وظهر بحمد الله ما فيه من الوضع والجهالة واما الاحاديث الباقية فيتوجه عليها
ان من البين ان ليس المراد من لفظ اصحابي فيها جميع الاصحاب حتى الفاسق
منهم قطعا كوليد بن عقبة ومعوية واضرابهم بل المراد الصلحاء الفضلاء
الشرفاء منهم واذا لزم التخصيص فلم لا يجوز ان يكون المراد منهم اصحابه من
اهل بيته كما يدل عليه حديث لا تسبوا اصحابي فانا لم نسمع ان احدا كان يسب
اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم في زمان حيوته واما بعد حيوته فانما وقع

Copyright © King Saud University